محاضرة مادة الادب الإسلامي للدكتور محمد عاصم النعيمي / تاريخ: 10/24

القيت عبر فضاء المنصة الالكترونية وتضمنت مایاتي:

الحديث عن الادب الإسلامي وموقف الإسلام من الشعر والشعراء

مفهوم الأدب الإسلامي هل كان للإسلام دور في ظهور نوع أدبيّ جديد؟ ظهر في العصر الإسلاميّ المُمتدّ من بعثة النبي محمّد _صلّى الله عليه وسلم_ وحتّى أواخر عصر الخلفاء الراشدين الذي انتهى بمقتل علي بن أبي طالب، مفهوم جديد للأدب يُعرف بالأدب الإسلاميّ، وقد شكّل هذا المفهوم نقلة نوعيّة على مستوى الألفاظ والمضامين والأساليب الفنية في النّظم والكتابة، فالأدب الإسلامي أدب وُضعَ لبيان اعتقاد الإسلام وتعاليمه السّمحة بالمعنى الشامل، وهو ينبع من روح الإسلام ومبادئه، ينطلق فيه الأديب من التصوّر الإسلاميّ السليم للكون والحياة والإنسان. الأدب الإسلامي هو أدب تمثّل بروح الإسلام في لفظِهِ ومضمونِهِ، فكما دار في مضمونه حولَ فكرة الصّراع العقيدي الذي دار بين المسلمين والكفّار في عهد الرسول -صلّى الله عليه وسلم- ، والزّهد في الحياة الدنيا والرّغبة في نيل الآخرة والنّجاة يوم القيامة، فإنّ الألفاظ في الأدب الإسلامي قد تحلّت بروح الإسلام حيث هذّبت الآداب من فاحش القول وقبيح الكلم الذي كان شائعًا في الجاهليّة؛ لا سيّما في شعر الهجاء، كما انكبّ الشُّعراء على الاقتباس من القرآن الكريم ما يدعم منطقهم وفصاحة أشعارهم، لا سيّما وأنّ القرآن قد تميّز بالبلاغة التي عجز أهلها عن الإتيان بمثلها.

نشأة الأدب الإسلامي هل نبذ الإسلام الشعر وحرّمه على المسلمين؟ عَرف العرب الأدب قبل الإسلام في العصر الجاهليّ، وكانت له مضامينه الفنيّة المعروفة، إلّا أنّ البعثة الإسلاميّة ونزول القرآن كان لهما الأثر الواضح في توجيه المسيرة الأدبية آنذاك، فقد كان للقرآن موقف صارِم من الشُّعراء، حيث قال تعالى: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"[٣]،

فالدين الإسلاميّ ينبُذ الكذب والمبالغات التي كانت شائعة ومألوفة لدى الشعراء، ويأخذ على الشعراء انسياقهم وراء رغباتهم، إذ تراهم يعلون من شأن المُنحطّ قدرًا ويحطّون من شأن من علا قدرًا ومكانة، لمجرّد رغبتهم بذلك.[٤] هذا لا يعني أنّ الإسلام قد حرّم الشّعر وقوله، فقد ميّز الله تعالى في كتابه الكريم بين نوعين من الشّعراء؛ أوّلهم هؤلاء الغاوون الذين يُفسدون في الأرض بألسنتهم، وثانيهم المُؤمنون الذين ينظمون شعرًا نافعًا يحثّون فيه على القيم والخلق الحميد ولا يتفوّهون بالترّهات[٤]، حيث يقول تعالى:"إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[٥]. قد تجلّى أثر الإسلام واضحًا في أشعار المُؤمنين ونثرهم، وذلك من خلال المضامين التي توجّه الأدباء للنّظم فيها، والتي تقوم على دعْم الدّين الإسلاميّ ومبادئه والحثّ على الخلق الحميد ونبذ خلق الجاهلية، ومُؤازرة المُسلمين في قتالهم ومدح النبيّ _صلّى الله عليه وسلّم_، والردّ على المُشركين والتصدّي لهم ومُحاربتهم بسلاح القول حتى بدت هذه المضامين أهدافًا من أهداف الأدب الإسلاميّ، كما ساهم شعراء المسلمين في إذاعة الإسلام وشيوعه؛ ذلك لأنّ الشعر كان يُعدّ أكبر وسيلة إعلاميّة في ذلك الوقت.[٦] الشعر في العصر الإسلامي كيف أثّر الإسلام في صقْل الشعر العربيّ؟ لم يكن الشعر الإسلاميّ شعر مَوقف فحسب، فقد أصبح يُمثّل عصرًا بأكمله ترسّخت فيه تقاليد الشعر التي أسّسها شعراء الإسلام الأوائل كحسان بن ثابت وكعب بن زهير، وامتدّت آثارها في عصور الأدب التّالية كالعصر الأموي، وكذلك العصر العباسي، ونظَم شُعراء هذا العصر في موضوعات الأدب الإسلاميّ التي تتضمّن جوانب الحياة المُختلفة، فبدا الشّعر في العصر الإسلاميّ شعرًا واقعيًّا يجمع إلى جانب الفكرة السامية القِيم الجماليّة التي كفلت للشّعر فنيّته وغنائيّته لعلّ تشجيع الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- للشُّعراء على قَوْل الشعر يُعدّ من أبرز أسباب ازدهار الشّعر في العصر الإسلاميّ، فقد اتّخذ إلى جانبه عددًا مِن شعراء المسلمين مثل حسان بن ثابت -رضي الله عنه- ودفعهم للتصدي للمشركين بسلاح القول[٦]، حيث قال ردًّا على عمر بن الخطاب حين شهده يُوبّخ عبد الله بن رواحة على قوله الشعر ردًّا على الكفار في حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خل يا عمر فهو أسرع فيهم من نضج النبل"[٨] وبعد وفاته تابع الخلفاء الراشدون اهتمامهم بالشّعر والشُّعراء الذين سجلوا بأشعارهم أعظم الأحداث؛ كحروب الردة التي جرت في عهد الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وموقعة الجمل التي قُتل فيها علي بن

أبي طالب وحادثة مقتل عثمان، وغيرها الكثير ممّا يشهد بتأييد الإسلام للشعر وحثّه عليه

قال الله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ*إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلِواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ قال الرسول ﷺ:

- "إنَّ من الشعر حكمة"
- "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد) ألا كل شيء ما خلا الله باطل"(
- قال النبي ﷺ لحسان "هاجهم وجبريل معك"
- باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ "لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتليء شعراً"

نقد الأدلة]

- ظن كثير من الناس قديما أن المقصود بالآية الكريمة ذم الشعراء المشركين الذين كانوا يهجون النبي فقط. ومما زاد في ذلك الاعتقاد الاستثناء بقوله تعالى " إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلِواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ" إلا أن المقصود في الآية الكريمة طريقة الشعراء، ليس الشعراء أنفسهم، فجاء ذكر أنهم يتبعهم الفاسدون، لأنهم يقولون ما لا يفعلون من هجاء للناس أو مدح الزيف أو وصف للخمر أو غيرها من الأغراض التي تعارض دعوة الإسلام، خاصة الهجاء الفاحش الذي كان يهجوه كفار قريش للنبي ﷺ وتشكيكهم في دعوته ورسالته.
- ذكر القرآن الصفات التي يقبلها من الناس عامة ومن الشعراء خاصة وهي : الإيمان بالله قولا وعملا، لا يشغلهم الشعر عن ذكر الله وقراءة القرآن وفهم السنة، ثم إنهم بهذا الشعر لا يبغون ؛ بل يدافعون عن الله ورسوله وعن أنفسهم ليردوا ظلم الناس لهم بالحق.
- الأدلة التي جاءت من السنة النبوية جاءت لتساند وتعضد النص القرآني ففي قول النبي ﷺ (إن من الشعر لحكمة)، وإعجابه بشعر لبيد، وحثه لحسان بن ثابت على الرد عنه وهجاء قريش؛ كلها تؤكد ضرورة

(أسلمة الشعر) أي جعل الشعر يخرج من مصنع الإسلام بخامات إسلامية ليعبرعن قيم الإسلام وتعاليمه.

- أما تحذير الإسلام من أن يكون ما يغلب على الإنسان الشعر هو شيء طبيعي، بعد أن تصدر القرآن الكريم والسنة النبوية الاهتمام الغالب للإنسان المسلم، فكان غلبة الشعر على الفرد حتى ينسيه ذكر الله هو عودة للجاهلية بأخلاقها المذمومة وعاداتها التي أعلن الإسلام الحرب عليها " فذلك أن الصدي القوي الذي رنَّ في أسماع العالمين بكنة الرسالة الجديدة وفلسفتها، كان جديرا بأن يوقف أساليب القول والتفكير إلا في هذه الرسالة نفسها"
- ومما يزيد من صحة القول أن البخاري نفسه وضع عنوان الباب عن كراهة أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله.
- لقد فهم الصحابة ذلك فهما جيدا ؛ فلقد حرص الخلفاء الراشدون على تعليم الناس القرآن فهو خير من الشعر، ومع ذلك لم يهملوا الشعر ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام إلى علي بالبصرة، وقال له: " إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع له " فأجابه علي: "علمه القرآن"على أنه قد ازدادت الحاجة إلى الشعر لما عمدوا إلى تفسير القرآن لمعرفة غريب الألفاظ أو بعض المعاني قال الخلفاء الشعر، فقد روي لأبي بكر قصيدة حماسية، وروي لعمر أبيات في الحكمة، وكذلك لعثمان؛ أما علي فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين؛ وكان الخلفاء يمنعون الشعراء من هجوم وهجو الإسلام والمسلمين وأشدهم الفاروق عمر، فقد أخذ عهدا على الحطيئة ألا يهجو رجلا مسلما .

وهكذا قام الإسلام ورجاله بمنع الشعر البذيء الذي لايتفق مع الإسلام أو انشغال الفرد المسلم بالشعر عن أمور دينه.

القول بضعف الشعر]

- الآراء

1. "نعترف بأن الشعر قد خبت جذوته وتوارت بلاغته في إبان البعثة النبوية وخلالها . لقد توراى الشعر وتحامى إنشاده بالشكل الذي تعودوا أن ينشئوه وينشدوه قبل البعثة المحمدية بقليل"

2. "ومضى كثيرون ينظمون في هذا العصر لامع الأحداث، بل مع أنفسهم وقبائلهم مستضيئين إلى حد كبير بالإسلام وهديه الكريم، فالشعر لم يتوقف، ولم يتخلف في هذا العصر ... ومن يرجع إلى كل هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهرا في صدر الإسلام "

يعد الرأيان البارزان في قيمة الشعر من حيث القوة والضعف في عصر صدر الإسلام:

- رأي يقول بضعف الشعر وأول من أثاره ابن سلَّام في كتابه "طبقات فحول الشعراء": "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح .وأطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير " ؛ ونقد ابن سلَّام لشعر حسان بن ثابت في الجاهلية والإسلام وسقوط شعر حسان - من وجهة نظر ابن سلَّام - في الإسلام، وتابعه في ذلك ابن خلدون وغيره إلى العصر الحديث ومنهم أحمد الزيات ومصطفى الشكعة وغيرهم.
- أما الرأي الثاني الذي يمثله شوقي ضيف فيرى أن الشعر ازدهر ويؤكد رأيه بالعديد من النماذج التي تزخر بها كتب الأدب وكثرة عدد الشعراء في تلك الفترة، ومواكبتهم للدعوة الإسلامية.
- أرى أنه احقاقا للحق وطبقا لما سبق من أن الشعر عامة قد ضعف وأن غالبية الأغراض قد قلت إن لم تكن ندرت، عدا بعض الأغراض التي أملتها ظروف الدولة في ذلك العصر كشعر الفتوح وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول. وكان من أهم أسباب ذلك الضعف عدم سهولة التكيف على تعاليم الإسلام الجديدة سلوكا، فما بالنا بصياغة ذلك شعرا . لقد ظل الشعراء ينتهجون الأسلوب الجاهلي صورا وأخيلة عدا إدخال بعض الألفاظ للمرادفات الإسلامية في بداية عهد الرسول، فبجير بن زهير وإن كان أسلم عقيدة وأعمق إيمانا إلا أنه يقول شعرا ممزوجا بين أسلوب الجاهلية والمعاني الإسلامية:

فتنجوه إذا كان النجاء وتسلمُ إلى الله - لا إلى العزى ولا اللات - وخذه
من النار إلا طاهر القلب مسلمُ لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت